الخيل والنساء

أحمد عمر

أحببت الخيول حبا «عذريا». وكنا في الابتدائية نشهد، من خلال شبك باب المدرسة الحديدي، عرض الشرطة الصباحي، وكانت فيه خيول وشارات عسكرية. كان عرضا يشبه السيرك، وكانت مدرستنا تشرف على زريبة خيولٍ من الجانب الآخر، فكنت أقضي وقتي في الفرصة المدرسية، في النظر إلى الخيل، وكان اسمها فرصة. وفي سيرة الزير سالم، عندما يفقد ذاكرته يركب الحيطان خيولا.

وكانت المرّة الوحيدة عندما زرت جنوب الرّد قريبا من حدود العراق، وكنت فتى جفرا، ووافقنا جمعا من فرسان إحدى القبائل يستعرضون خيولهم، فرآني أحدهم مسحورا بجوادٍ أبيض، له رأس جرادة، وقوائم زرافة، ووثبة هرّة برية، وشراع سفينة. إنّه يخلب الأبصار، وكنت أظنُّ عنوان كتاب عبد السلام العجيلي «الخيل والنساء» بدعة، فإذا به مأخوذٌ من كلام لأم المؤمنين عَائِشَة، عندما رأت بَنَات طَارق اللاتي يقلن: «نَحن بَنَات طَارق/ نمشي على النمارق»، فَقَالَت أَخطَأ من يَقُول إِن الْخَيل أحسن من النِّسَاء، لقد كان قولاً شائعاً في العرب. قال أحدهم، وكان يكيد لي: فقال: أتركبه؟ قلت: يا لثارات كليْب. حذّرني، وقال: هذا فهد وليس حصانا. قلت: أركب.

وذُكر تفسير لكائنات السانتورس الإغريقية، وهو أنهم كانوا فرسانا لا يترجّلون، فقيل إنَّ نصفهم بشر ونصفهم خيول، وإنّه لمّا قتل دريد بن الصمة، وكان من فرسان العرب المعدودين، قتله رَبِيعَةُ بْنُ رُفَيْعِ السّلَمِيّ. قَالَ: فَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَلَمْ يُغْنِ شَيْئًا. قَالَ دُرَيْدٌ: بِئْسَ مَا سَلّحَتْكَ أُمّكَ! خُذْ سَيْفِي مِنْ وَرَاءِ الرّحْلِ فِي الشّجَارِ فَاضْرِبْ بِهِ وَارْفَعْ عَنْ الطّعام واخفض عن الدّماغ، فإن كُنْت كَذَلِكَ أَقْتُلُ الرّجَالَ، ثُمّ إذَا أَتَيْت أُمّكَ فَأَخْبِرْهَا أَنّكَ قَتَلْت دُرَيْدَ بْنَ الصّمّةِ، فَرُبّ يَوْمٍ قَدْ مَنَعْت فِيهِ نِسَاءَكِ! زَعَمَتْ بَنُو سُلَيْمٍ أَنّ رَبِيعَةَ لَمّا ضَرَبَهُ تَكَشّفَ لِلْمَوْتِ عِجَانُهُ، وَبُطُونُ فَخِذَيْهِ مِثْلَ الْقَرَاطِيسِ مِنْ رُكُوبِ الْخَيْلِ. وفي الخبر: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْفَرَسَ مِنَ الرِّيحِ وَلِذَلِكَ جَعَلَهَا تَطِيرُ بِلاَ جَنَاحٍ. وكنتُ عشقت الخيول في أفلام الكاوبوي، وقرأتُ عنها في أشعار العرب، فأُغرمت بها، حتى أني كنت أهمز أي شيءٍ أركبه حتى المقعد المدرسي، حتى تدمى أعقاب قدمي الزير سالم. ضحك الفرسان كيدا، وساعدوني على ارتقاء برج صهوته، وركبت، وقلت: يا خيل الله اركبي.

.. وعندما ضغطت على الزناد، وانطلق بي الجواد إلى المعركة، وأنا أهتف: هبّي يا ريح الجنّة، انقذف وحلّق ولم يعد يطأ الأرض، ونبتت له أجنحة، وفقد الجاذبية. الجواد ليس بحاجة إلى أجنحةٍ، قوائمه أجنحته، لم يكن حيوانا، كان رصاصة، مقذوفة منجنيق، حصاة مقلاع. ضحكت لكني فكرت بعد حين أن أوقفه فوجدت أن فات أوان لجمه، وعقّ، أشدُّ ساقي القصيرتين على بطنه فلا يجيب، فأرخيت له العنان، حتى ماج عُرف السحاب. ولا أعرف كم مضى من الوقت، والجواد يسابق أشباحا، ويعضُّ على اللجام، ويزأر ويزمجر، وأنا أتشبث بالعنان، حتى إني نويت أن أقذف بنفسي من فوق صهوته، فهو يمضي إلى سدرة المستحيل، وقد غشاني ما غشّى، لكني استسلمت للريح، ثم أني وجدت عاصفتين من الغبار تلحقان بي من اليمين والشمال، صانعتين وتريْن في مثلثين لفيثاغورث، حتى أدركني الفارسان ولجما الفهد الذي كان سيعدو حتى الموت، فأنقذوني من الموت خيلاء. توقفنا وسكنت العواصف الغبارية، وسدّت عين الشمس حتى غابت، ثم أشرقت من جديد. قال الفارس الأول: دخلت الأرض الحرام!

كنتُ دخلت الحدود العراقية، وبينها وبين المنطقة السورية منطقة محرّمة، تكثر فيها أعشاش الطيور والنباتات البعلية العذراء وزواحف الكومودو الكبيرة، حتى لتظننَّ نفسك في إندونيسيا. كبرت ولم أركب الخيل سوى تلك المرّة، وأتذكر عبرة خالد بن الوليد، وهو يندب موته على فراشه كما يموت البعير، فأعتبر وأبكي مثله، وأنا أُطعن بسنان إبرة لقحة كورونا، من حسناء ملثّمة محصّنة الثغر، فلا نامت أعين الجبناء.

عن الضحك والمضحكين الجدد في مصر

عبد الحكيم حيدر

لا تسأل لماذا قلّ الضحك في مصر، بل قل أين ذهب أو سافر؟ فعلى ماذا يضحك الناس أمام بوابات الشهر العقاري، أو لجان المصالحات بسبب شقةٍ بناها مواطنٌ من حرّ ماله لابنه أو ابنته؟ هل يضحك المصري على مباريات كرة قدم فوق ملاعب شبع نجيلها بالماء ليلا، ولا يوجد في المدرجات سوى الجهاز الفني للفريقين وعدة أشخاص فوق كراسيهم المتحرّكة مع الحكّام؟ هل يضحك المصريون لهمومهم بعدما رأوا مقبرة حسني مبارك، استفزازا للأحياء، للمرة الثانية وهي تكفي لمهبط طائرات، بعد ما يقرب من أربعين سنة إلا قليلا من قولته الشهيرة في بداية حكمه: «الكفن مالوش جيوب»؟ هل يضحك المصريون الليلة، بعدما أعلن رئيس الضرائب العقارية أنه لا توجد ضرائب على المقابر، أم يتوجهون في جماعات لزيارة قبر الراحل حسني مبارك بالورد والياسمين، انطلاقا من ميدان التحرير تحت رايات ونظارات نساء جماعة «آسفين يا بابا مبارك»، كما يحلو للفنانة غادة عبدالرازق أن تناديه، أم تخرج الفنانة سهير البابلي، معتذرة «لشراب مبارك القديم ورائحته»، مع الجمع؟ هل يضحك المصريون ضحكا كالبكاء، بعدما فقدوا ابتسامة أماني الخياط التي فاقت ابتسامة نجوى إبراهيم دلالا، بعدما حرموا من خلطتها السحرية على الشاشة، هي وأحمد موسى؟، هل يضحك المصريون لانقطاع المياه يوم الأحد المقبل، ثماني ساعات، عن العمرانية الغربية والشرقية. رحم الله الكاتب محمد مستجاب، ساكن العمرانية الغربية، والذي كان يتندر ضاحكا على إنجازات مبارك، فماذا لو عاش ورأى إنجازات اتفاق سد النهضة مع أبيٍ أحمد، بعدما سجل عبد الفتاح السيسي هدفا رائعا في مرمى إثيوبيا لا يقل روعةً عن أهداف ميسي ومحمد صلاح. هل يضحك أهل الفن والكتابة في مصر، بعد الاستعداد لتسليم إتيليه القاهرة للكتاب والفنانين لأصحابه الأصليين، كجزيرتي تيران وصنافير، لأن «العدل العمري» لا يسمح أبدا، كما أوصته أمه، ألّا يظلم أحدا، إلا فلوس «الإخوان» فقط ومستشفياتهم ومدارسهم وأملاكهم، هي وحدها التي تضم إلى ميزانية الدولة، خلافا لعدل عمر ووصايا الأم بالتأكيد. هل يضحك أهل الفن والكتابة وصناعة النكتة، بعد ما تم أيضا إغلاق وقتل وتسليم دار الأدباء في ميدان التحرير، وأتيليه الإسكندرية، ونادي القصة لملاكه، أو إلى محفظة النظام، لبيعه من أجل إتمام مرافق العاصمة الإدارية، فأين تلك الكتيبة الحربية، والتي كان يقودها الكاتب بهاء طاهر، لاحتلال وزارة الثقافة، لأن وزير الثقافة ساعتها، علاء عبد العزيز، والذي لم يبع إبرة من الوزارة، كان لا يمثل الثقافة حق تمثيل، فلماذا لم يخرج أي جندي من تلك الكتيبة التي كانت خلف بهاء طاهر ويتكلم عن أتيليه القاهرة، والإسكندرية، ودار الأدباء ونادي القصة؟

هل يضحك المصريون بعدما مات حسن حسني كمدا وبلا عمل، ولا أحد يعرف أين يقضي الممثل محمد سعد أوقاته، واعتزلت الفنانة عبلة كامل، أو في حالة احتجاب وابتعاد تام، بعدما قلّ الضحك، وبعدت بلاده عنا تماما؟ أما لو عدنا إلى بقيةٍ المضحكين الجدد، فحالهم مثل حال السينما تماما، بعد هدم سينما فاتن حمامة، وأخواتها في الرضاعة، لصالح بناء الأبراج التي ملأ بها محمد مرسي ونظامه، العاصمة، والإسكندرية خلال سنة واحدة. «سبحان الله»، في خلال سنة، ملأت عفاريت مرسي تراب مصر بالأبراج الشاهقة المسروقة من أرض الدولة، يا أخي، ولو تركناهم لباعوا تيران وصنافير، والهرم أيضا. سنة واحدة، يا أخي، تحوّل فيها هاني رمزي من ممثل، إلى حد ما، إلى مقدّم برامج بالخرفان وأنابيب البوتاغاز، التي كانت ساعتها بثمانية جنيهات، وصارت الآن بثمانين، فانتقل ببرامجه إلى بيروت. وأخيرا، جلس في بيته أو في قصور الجونة، لأن الصناعة شبه متوقفة، وساويرس بالطبع هو كفيل اليتامى والذين بلا عمل، حتى وإن خربت مالطة. ومن لا يجد سينما يعمل لديه محكما أو يحصل على جائزة كي يشتري القهوة وباقي الملابس، ومن يتعذّر له ذلك فتتكفل دبي وأبوظبي بباقي الطلبات.

هل يضحك المصريون، بعد ما توقف محمد صبحي عن المسرح، وصار وزيرا للأخلاق الحميدة، ومحمد هنيدي فقد فطرته في التمثيل، وأنصحه أن يمثل حياة ضاحي خلفان، بشرط أن يظهر بوجهين، وجه وهو باللباس الشرطي ووجه وهو في «إسرائيل» يتعلم الدارجة الإسرائيلية من منابتها، ويضع وردة على قبر الجندي المجهول هناك بجوار محمد رمضان.

تلك المحكمة الألمانية ومفهوم العدالة في سورية

عمار ديوب

أثار الحكم على ضابط الصف المنشق عن النظام السوري، إياد الغريب، بأربع سنوات ونصف سنة سجناً في ألمانيا، نقاشات إشكالية في أوساط المعارضة. بداية، هناك ضرورة لمحاكمة كلّ من أجرم بحق السوريين، وقام بالتعذيب والقتل، في مؤسسات النظام أو الخارجة عنه؛ فهذا حقٌّ للأفراد ولعائلاتهم، ولطيّ أيّة أحقاد مجتمعية مستقبلاً، ووفاءً لتضحيات السوريين، أقلّها منذ 2011. تتضمّن بعض تلك النقاشات تبريراً للمجرمين بسبب انشقاقهم عن مؤسسات السلطة، بينما تفترض الرؤية الثورية حزماً دقيقاً، لا سيما بشأن من ارتكب الجرائم، أو كان فاسداً وناهباً؛ فهذه أفعال تضرّرت منها أغلبية الشعب السوري. الانشقاق عن النظام لا يَجبُّ ما قبله، وبالتالي كيف للسوريين أن يؤسّسوا دولة حديثة، كل الأفراد فيها متساوون، ويلغي فيها أيّ استغلال للعمل العام، أو إساءةٍ تحطّ من كرامة الأفراد وحقوقهم وواجباتهم.

هناك سؤالٌ مشروعٌ يُطرح هنا: لماذا تظهر هذه الإشكالية، ألم تكن الثورة تبتغي إسقاط كل شكل للاستبداد أو الاستغلال وتنهض بالمجتمع؟ للنظام مؤسساته في القمع والفساد والنهب، والثورة قامت ضد ذلك كله وسواه. هنا، يجب التفريق، وبشكل نهائي، بين الثورة والمعارضة، وضمنَ الأخيرة هناك معارضات. لم تكن المعارضة/ المعارضات ممثِلة للثورة، وأسوأ ما ارتكبته رفضُها الإقرار باستراتيجية متكاملة، تكون المرجعية لأعمالها ولتطوّرات الثورة ولمستقبل سورية، وللإشكالات التي عانت منها. دفعت الفكرة الأخيرة محللين كثيرين إلى القول إن الثورة انتهت، بعد أن تعسكرت وتطيفت وتأسلمت وتأقلمت وتدولت، حيث لا مصلحة للشعب السوري بذلك. يرتبط سؤالي عن نقاشات ما بعد الحكم أعلاه بغياب تلك الاستراتيجية؛ غيابها هو ما سمح بكل التطورات أعلاه. وبالتالي، وبدلاً من محاكمة أوّليّةٍ للمنشقين، ولحظة انشقاقهم، وعبر مؤسساتٍ قضائية تابعة للثورة، وتبيان مسؤوليتهم، تمّ الاحتفاء بهم، لتحفيز آخرين لذلك. ثم، وكأنّ بالمنشقين تنجح الثورة، وأن الشعب الذي ثار لم يكن يكفي لإطاحة النظام، وأن الثورة يجب أن تضم كل الشعب السوري، وحينها تنجح؛ هذا تفكير طفولي بامتياز، أي غير ثوري بكل بساطة، وهو ما هيمن على المعارضة. في هذا هناك نقدُ دقيق لنتائج العسكرة والانشقاقات، حيث كانت وبالاً على الثورة، بينما توسعت الأخيرة، وهدّدت النظام حينما كانت العسكرة والتطييف وأقلمتها وتدويلها أقل، أي في أعوامها الأولى. لا يكتمل مفهوم العدالة لدى السوريين إلّا إثر الانتقال السياسي وبتطبيق مبادئ دقيقة لها، وتسري على الجميع، بينما المحاكمات في ألمانيا، وخارج سورية وقد تتوسع، ستكون نتائجُها محدودة. الانتقال وحده ما يؤسّس للسلم الأهلي وطيّ صفحة الحرب والجرائم، والتأسيس لسورية موحدة ومستقلة. عدم تطبيق مفهوم العدالة سيُبقي أغلبية السوريين موزّعين لولاءات خارجية، ألم نسمع بحديثٍ يقول مرحباً روسيا، ومرحباً تركيا، ومرحباً أميركا و.. و..؛ هذه كلها من نتائج سياسات النظام والمعارضة. وتطبيق العدالة، وتنفيذ الأحكام، وبإشراف قضائي مستقل ونزيهٍ، سيقي سورية من مصير يوغسلافيا أو التفكّك في العراق أو لبنان مثلاً.

> لا يكتمل مفهوم العدالة لدى السوريين إلّا إثر الانتقال السياسي وبتطبيق مبادئ دقيقة لها، وتسري على الجميع

لا خيار وفقوس في قضايا الحقوق، وإذا كان الحكمُ صدر بحق «مجرم» صغير، فالعدالة ستطاول رفيقه في المحاكمة، العقيد أنور رسلان، وستطاول آخرين، منشقّين وغير منشقين. الفكرة الأخيرة تتعلق بما قَبل الانتقال السياسي، بينما حين البدء فيه، ستطاول المحاكمات الجميع، وهذا مؤجّل إلى لحظة التوافق عليه. نعم ليس هناك من عدالةٍ مطلقة، ولا سيما إن بدأت بالمنشقين، ولكن ذلك يتطلب وضوحاً شديداً، ومن سلطةٍ قضائية، وليس من سواها؛ هي فقط ما يؤسّس لتجاوز الانتقام والثأر والحقد بكل أشكاله، وكذلك يطوي صفحة النقاشات الإشكالية. تكرّرت في أوساط السوريين النقاشات بشأن المنشقين عن النظام، عسكريين وساسة. مشكلتُنا في غياب تلك الاستراتيجية، وسيادة الفوضى والحزبية والشللية والتبعية للخارج، وكان من نتائج ذلك تهميش المنشقّين بأنواعهم، وسيادة معارضات وفصائل لا تمثل الثورة. وضمن ذلك، لم تُهدر فقط تضحيات أهل الثورة، بل وخبرات المنشقين. أيّة نظرة إلى واقع الفئة الأخيرة، سنراها مهمشة أولاً، وثانياً ملحقة بمعارضاتٍ وفصائل مسلحة مُلحقةٍ بدورها بدولٍ إقليمية. أيضاً، شكّل غياب الاستراتيجيةِ، وأن تشمل كامل سورية، سبباً لتسلّط الفصائل السلفية والجهادية «وشرعنتها»، والأنكى أنها انقسمت على بعضها وخاضت حروباً بالجملة، وفي كل المدن السورية. نعم، لا علاقة لها بالثورة من قريب أو بعيد، فممارساتها أدّت إلى تعزيز مصالح النظام أو الدول الإقليمية، وهذا أمعن في تأزيم الوضع السوري، وأسّس لإشكالات كبيرة، وتطاول أوجه المجتمع كافة؛ فالانقسام في سورية صار عميقاً، دينياً وقومياً، ومناطقياً، وهناك التبعية للخارج.

بعيداً عن النقاشات السلبية، فإن إصدار الحكم الأوّل أعلاه، إضافة إلى تقارير كثيرة أمام المحاكم والمنظمات الدولية تدين النظام، وتدين ممارسات فئات في المعارضة والفصائل، وتزايد حدّة الأزمة الاقتصادية والاجتماعية، وتراجع قدرة روسيا وإيران عن دعم النظام، أقول إن ذلك كله يدفع السوريين، معارضين وموالين للتفكير بالمستقبل، وبكيفية تأسيس استراتيجية جديدة للنهوض بسورية؛ القضية التي رفضها النظام والمعارضة، وآثروا المصالح الضيقة والتبعية للخارج. وصلت سورية إلى لحظة خطيرة في تطوّر أحداثها، وأصبح النفوذ الإقليمي والدولي على الأرض السورية أقرب إلى الخرائط الثابتة لهذه الدولة أو تلك، وفقط يمكن التبادل بين الدول المحتلة لسورية في بعض المناطق. يقول هذا الوضع بضرورة التسوية للمسألة السورية؛ حيث تم تثبيت مناطق النفوذ، وفشلت المسارات الروسية، ولا جدوى للقرارات الدولية، فأميركا وأوروبا لم تضغطا من أجل تطبيقها منذ إقرارها. ولكن المواقف الأميركية لم تتوقف، ومنها قانون قيصر، وتأمين الغطاء للضربات الإسرائيلية ضد الأهداف الإيرانية، وقيام أميركا بقصف شديد لأهدافٍ إيرانية في البوكمال.

الفقرة الأخيرة هي حالة التدخل الدولي في سورية، وهناك حدّة الأزمة الاقتصادية، وأخيراً إثارة النظام نقمة جديدة لدى الناس بقصة الانتخابات الرئاسية، وهو غير قادرٍ على تلبية أية حاجات، والخدمات في غاية السوء. أقول إن مسار العدالة الذي بدأ في محكمة كوبلنز في ألمانيا لن يتوقف هناك، ولكنه لن يكتمل إلّا على الأرض السورية، وبعد إجراء الانتقال السياسي؛ والأخير تستدعيه الوقائع المتأزمة بقوّة. الجفاء بين الرئيسين، الروسي بوتين والأميركي بايدن، ليس نهاية المطاف، وربما هو ذاته يكون بداية التسوية للمسألة السورية.

(كاتب سوري)

كاريكاتير عماد حجاج

فرنسا تكشف الشرّ من بين نخبتها

دلال البزري

النخبة الفرنسية من عالم الأكاديميا والثقافة في مرمى نيران رواية واقعية. واحدة من بناتها، كاميل كوشنير، أصدرت كتاباً تسرد فيه قصة أخيها التوأم فيكتور. وهذا اسم مستعار، الغرض منه منع تسليط الأضواء عليه. القضية أخطر من زوبعة إعلامية. في هذا الكتاب: كاميل تعيش مع عائلتها الصغيرة. أخوها التوأم فيكتور الذي تدور الحكاية حوله، والثاني جوليان، البكر. مع أمها ايفلين بيزييه، الجامعية والكاتبة والنسوية الشهيرة، وطليقة برنار كوشنير، وزير الخارجية الفرنسي الأسبق، المعروف لدى إعلامنا «رجل المهمات الصعبة». «طليقته» قلنا، فالرجل الذي تزوجته إيفلين بعد طلاقها من برنار كوشنير، والذي يعيش معها ومع أولادها الثلاثة، هو أوليفه دوهامل. واحد من النخبة الرفيعة ذاتها.

عنوان الكتاب «العائلة الكبيرة». وتقع أحداثه في نهاية الثمانينات. كاميلا وتوأمها فيكتور لا يتجاوزان الثالثة عشرة من عمريهما. عندما يحين الليل، يتسلّل أوليفيه زوج الأم، إلى غرفة نوم فيكتور. وخلال هذه الزيارة يغْرف أوليفيه من جسد فكتور أنواعا شتى من المتع الجنسية. يفَضْفض فيكتور لتوأمته كاميل، ويروي لها قصة هذه الليالي المريبة. ولكن كاميل تطلب منه السكوت عن الأمر، فالمراهقون لا يملكون اللغة التي تتيح لهم البوح، وخصوصاً أن أوليفيه هو زوج الأم المثالي، وإنه قال لفكتور، بعدما سأله عن طبيعة هذه المطارحات الليلية، إن الأمر «عادي»، وإن «كل الناس تقوم بذلك». فوق أن الأولاد يعتبرونه الأب الحنون الذي يسهر على راحة زوجته، وعلى صحتها النفسية، وقد تدهورت بعدما انتحرت والدتها، وأدمنت الكحول. فيما هو منكبّ على الاهتمام بالأولاد. تقول كاميل عن تلك الحقبة: «أمام غرق أمي في الكحول، كان هو (أوليفيه) ينظّم إجازاتنا، يصطحبنا إلى السينما، يحثّني على دراسة القانون ..»

بعد سنوات، عندما تبلغ كاميل، مع فيكتور، الثلاثين من العمر، تكشف عن هذا السرّ لأمها. لكن هذه الأخيرة تقرّر حماية زوجها وتطلب منها الصمت. والمحيط كله يعلم ويصمت. إلا الخالة، ماري فرانس بيزيه، الممثلة التي لا تقلّ شهرة عن شقيقتها. هذه الخالة تحاول أن تخرج الموضوع من تواطؤ الصمت، لكنها لا تفلح. ويتسبّب هذا الفشل بتوتر العلاقة بينها وبين شقيقتها إيفلين. لذلك تقول كاميل في كتابها: «أنا لا أكشف سراً في هذا الكتاب. الجميع كان يعلم». الجميع؟ طبعا لا. المقصود بهم فقط المحيط الضيق من عالم النخبتَين الأكاديمية والثقافية.

المهم أن كاميل، في هذه الأيام بالذات، قرّرت أن تنْسف هذا الصمت، وتسْرد القصة من بدايتها. ليس بغرض الفضيحة أو الانتقام، إنما لكي تتوازن حياة فيكتور النفسية، فما يعصف به من آلام ومن تذكّر مستمر لما كان يفعل به زوج والدته، وكان بمثابة أبيه، في ذلك العمر الطري، بقي يحرث في روحه بالأوجاع، مدمّراً دواخله النفسية. ويقول فيكتور إنه قرأ مخطوطة الكتاب مرتين، ويضيف لصحيفة لوموند: «أؤكد لكم أن ما كتبته شقيقتي حول تصرّفات أوليفيه دوهامل معي صحيح». ويُلحظ على هامش الكتاب الجلَل، أو في قلْبه، اندفاع بالمعاني. تلخّصه صاحبته بثلاث كلمات: الاثنتَان الأوليان هما عنوان الكتاب نفسه. صحيحٌ انه يُترجم إلى العربية بـ«العائلة الكبرى». لكن المؤلفة كتبته بصيغته الإيطالية (Familia grande). وكانت هذه الصيغة تقليدياً تشير إلى عائلات المافيا الإيطالية. ثم عن الصمت، لا تستخدم كلمة سكوت أو صمت، إنما كلمة «أورميتا»، والمعروفة، أيضا تقليدياً، بأنها الصمت الذي تفرضه المافيات الإيطالية عن جرائمها، في وسطها العائلي و«المهني». تصرّ كاميل: «أريد أن أتخلّص من تلك المافيا التي كانت عائلة كبرى!»، كأنها توضح معنى هذه الكلمات وعلاقتها ببعضها.

يُحدث الكتاب زلزالاً في الأوساط المعنية وغير المعنية. يستقيل أوليفيه دوهامل من رئاسة المؤسسة الجامعية العليا، ومن المجلة التي يديرها والبرنامج الإعلامي الأسبوعي الذي يحلّل فيه السياسة الداخلية .. وبعد أوليفيه دوهامل، يستقيل طاقم من كبار المسؤولين الأكاديميين المتّهمين بالمعرفة والصمت. يتدخل رئيس الجمهورية، إيمانويل ماكرون، ويستنكر «سفاح القربى»، ويأخذ مسافة مع أوليفيه دوهامل الذي غازله طويلاً. وتبادر الحكومة الفرنسية إلى «تعزيز ثلاث رافعات» للكشف عن سفاح القربي في الصفوف الأولى من المدارس الفرنسية. وهذه الرافعات هي «التعقّب، الوقاية، الإبلاغ»، عن أي عنفٍ جنسيّ يتعرّض له الأولاد. ومن ضمن موجة ردود الفعل أيضاً، توقيف فوري لبرنامج أسبوعي، يستضيف الفيلسوف الفرنسي، آلين فيكيلفورت. والسبب أنه أعطى «أسبابا تخفيفية» لجريمة نظيره أوليفيه دوهامل. والموجة مرشحة للارتفاع. ترافقها فضائح أخرى، تطاول أسماءً لامعة من عالم الفن والثقافة والإعلام والرياضة، وهي تهم تتراوح بين التحرّش والاغتصاب والبيدوفيليا (التحرّش بصغار السن). والجريمة التي تكشف عنها كاميل كوشنير تغطي هذه الأوجه. ووسط هذه الضجة، كانت لافتة ردّة فعل برنار كوشنير، والد كاميل وفيكتور، عندما أعلموه بالأمر. غضِب كثيراً، وقرّر الهجوم على أوليفيه دوهامل، فمنعه ولدَاه .. ولكن اسم برنار كوشنير تحديداً هو من بين الأسماء التي وقّعت عام 1977 على بيانٍ يتعاطف مع ثلاثة متحرّشين بأطفالٍ، كانوا يخضعون للمحاكمة، ولعقوبة «قاسية». ومن بين ما يقوله هذا البيان، في دفاعه عن المتّهمين، إن ثمّة تناقضا بين القانون الفرنسي المعتمَد و«الواقع اليومي لمجتمع يميل إلى الاعتراف بحياةٍ جنسيةٍ لدى الأطفال والمراهقين». ويتساءل، دعماً لرأيه هذا: «إذا كان يحقّ لابنة الثالثة عشرة من العمر أن تتناول حبوب منع الحمل، فمن أجل ماذا؟».

في السبعينات، وريثة الستينات، وعقيدة «ممنوع الممنوع!»، أخذت البيدوفيليا عزّها. من دون أن يكون لها هذا الاسم الاتهامي الذي سوف تعيَّر به لاحقاً. الموقّعون على البيان هم من كبار المفكّرين والفلاسفة والروائيين. نعرف منهم جان بول سارتر، سيمون دي بوفوار، رولان بارت، جاك لانغ (وزير الثقافة السابق نفسه). وقد انضم إليهم، بعد أشهر، ميشال فوكو وألان روب غرييه وجاك دريدا، في بيان آخر يطالبون فيه السلطات بإصدار قانون «لا يجرّم العلاقات الجنسية بين الراشدين وبين الأطفال الذين هم دون الخامسة عشرة من العمر». كل هذا في مناخ فني وثقافي وفكري يضجّ بالأفكار الداعمة، عنوانها «الحرية الجنسية الشاملة». طبَعتْ بكلماتها جيلاً بأكمله من المثقفين، أصحاب التأثير والامتيازات على أشكالها. وربما تسرّبت بدفعات متفاوتة إلى المواطنين «البُسطاء».

> يتساوى البشر في الشرّ. والفرق بينهم هو في النجاح بالكشف عن بعضه، ليس في أعدائهم، إنما في أهلهم

هذه العودة إلى الوراء مفيدة. منها نفهم أننا نشهد الآن في فرنسا تبدّلاً في العقلية، في «البنية الفوقية» (بالتعريف الماركسي)، خلال فترة قصيرة نسبياً. بين سبعينات القرن الماضي وعشرينات الألفية الحالية أقل من نصف قرن. عاصره القليلون ممن بقوا على قيد الحياة. منهم، ومن أبرزهم برنار كوشنير، والد فيكتور، وقد بلغ الآن الواحدة والثمانين من العمر. تبدُّل بالعقلية، واهتمام شعبي زائد بالقضايا الخاصة، يعكسان الرغبة المتأصلة لدى الفرنسيين بعدم السكوت عما يدور في رؤوسهم. عكس شعوب أخرى، التي تذهب تلقائياً نحو الكتمانً المديد. ولهذا علاقة بالديمقراطية الفرنسية، المعطوفة على خزّان ذهني من التاريخ، يحثّ ورثَته على التمرّد. والتمرّد حتى على نفسه. على ما كان منْزلاً من علوّ منذ نصف قرن. وصار الآن مرفوضاً منهجياً. يتنصّل منه الأحياء من كبار صانعيه، ومنهم والد ضحية هذه الواقعة، الوزير السابق، برنار كوشنير.

ولكن الوعي النسوي صار الآن يمدّ الأطفال بالحقّ في الحماية من تلك البيدوفيليا. معنى آخر تسجّله هذه القصة: أن الانحرافات الجنسية ليست من فعل طبقةٍ بعينها أو ثقافة بعينها. محرومة وتلبي رغباتها كيفما اتفق: بسفاح القربى، البيدوفيليا، كأسرع سبيل. وهذه الصورة تضجّ بها سرديات أفلام وروايات لا تنْضب. فيما الانحراف الجنْسي في حالتنا هو من فعل طبقة أعيان من ثقافة وأكاديمية. مغلقة على نفسها وحافظة لأسرارها، وغير محرومة على الإطلاق، لا من الجنس، ولا من خيرات السلطة الثقافية. أخيراً: تلك المفارقة الأخرى. عن حملات فرنسية وغربية تتعلق بعالمنا العربي. تلك التي تدعو إلى منع زواج القاصرات العربيات والمسلمات، بصفته فعل بيدوفيليا بامتياز. ونحن معهم بالطبع. مرّة لأنهم ضد البيدوفيليا في ديارنا، ومرّة أخرى لأن الفرنسيين من بينهم ضد البيدوفيليا في ديارهم.

ودرس أخلاقي بامتياز: يتساوى البشر في الشرّ. والفرق بينهم هو في النجاح بالكشف عن بعضه، ليس في أعدائهم، إنما في أهلهم.

(كاتبة لبنانية)

أوهام أميركا والصين في عهد بايدن

سامر خير أحمد

الأوهام الأميركية، كما الصينية، المتعلقة بالنفوذ في العالم، هي التي تحدّد شكل السياسة الدولية في عهد الرئيس الأميركي جو بايدن. ومن هذه الزاوية يكون تغيير الرئيس والحزب الحاكم في الولايات المتحدة مهماً، لأن أميركا ما زالت القوة الكبرى في العالم، وقائدة النظام العالمي القائم، وقطبه الوحيد منذ ثلاثين سنة.

بكلمات أخرى، الأوهام الأميركية ذات الطبيعة النرجسية بشأن إخضاع الدول، بما فيها الصين، للنظام العالمي الأميركي وحيد القطبية، في عهد الرئيس السابق دونالد ترامب، وعدم تجاوب الصين معها، هي التي كانت الدافع الحقيقي لسياسة الصدام الاقتصادي والتجاري مع الصين التي اتبعتها الإدارة السابقة. ولن يكون الأمر مختلفاً في عهد بايدن، ما لم تتغير تلك الأوهام، أو تتغير طبيعتها شديدة النرجسية. ولكن عاقلاً لن يتوقع أن تتغير تلك الأوهام الأميركية في عهد جو بايدن، فهي ليست فقط الأوهام نفسها التي تعمّقت منذ نجاح الولايات المتحدة في إطاحة الاتحاد السوفييتي بعد حربها الباردة معه، بل إنها هي ذاتها التي ظلت محرّك السياسة الخارجية الأميركية خلال عمل بايدن نائباً للرئيس أوباما ثماني سنوات، وقبلها رئيساً للجنة السياسة الخارجية في مجلس الشيوخ الأميركي سنوات طويلة. بايدن وعقله السياسي ابن هذه الأوهام إذن، ومعه المؤسسات الأميركية العاملة في صياغة الاستراتيجيات السياسية للبلاد.

ربما يكون الجانب الصيني أكثر عقلانية في ما يتعلق بامتلاك النفوذ في العالم، أو تغيير شكل النظام العالمي القائم لصالحه، لكنه يتوفر على أوهام محرّكة لسياساته هو الآخر، تجعل من غير الممكن استسلام الصين أمام الأوهام الأميركية من غير حربٍ اقتصاديةٍ شرسة، ستقود حتماً إلى تغيير شكل الحياة على هذا الكوكب، من زاوية إضرارها بالبيئة، وليس ظهور فيروس كوفيد 19 عن هذا ببعيد.

ليس الرهان إذن على تغيير الأوهام الأميركية في عهد جو بادين، فهي لن تتغير، ولكن على تغيير طبيعتها شديدة النرجسية، كما عبّر عنها ترامب بخطابه وسلوكه تجاه الصين. هذا الأمر من المرجح أن يحدث، إذ أظهر الرئيس الجديد في الأسابيع الأولى من توليه السلطة سعياً حكيماً لإعادة الولايات المتحدة إلى ما قبل عهد ترامب. لكن مهلاً، فهذا ليس كل شيء. الصين ليست طرفاً بريئاً، فكما أن الولايات المتحدة تريد الصين عنصراً متلقياً ينفذ ما يصبّ في مصالحها السياسية، فإن الصين بدورها تريد أن تلزم الولايات المتحدة بقبول نفوذها الاقتصادي والتجاري في العالم، بما في ذلك المناطق التي تعتبر حليفة أو مجالاً حيوياً لأميركا، مثل أوروبا، وتريد من جهة أخرى أن تقدّم الولايات المتحدة، بشكل مباشر، ما من شأنه خدمة هذه التطلعات الصينية، كتصدير المواد الخام إلى الصين، وفتح الأسواق الأميركية أمام المنتجات الصينية عالية الجودة ورخيصة الثمن. ومن فائض القول الحديث هنا عن رغبة الصين في أن تغضّ الولايات المتحدة نظرها عن حضور الصين المتزايد في مشاريع البنى التحتية الحيوية في مختلف القارّات، كذلك في مجال تطوير التكنولوجيا ونقلها المتسارع لصالح الصناعات الصينية.

> ليس ممكناً استسلام الصين أمام الأوهام الأميركية من غير حربٍ اقتصاديةٍ شرسة

كلفة الصراع الأميركي الصيني، بنسختيه الاقتصادية والسياسية، ستكون باهظة على العالم. ومن حقنا جميعاً أن نأمل بعدم اندلاعه، خصوصا في هذه المرحلة التي يتطلع فيها العالم للخروج من تبعات فيروس كوفيد 19، الصحية والاقتصادية والإنسانية. وربما يكون من المرجح أن الطرفين الحاكمين في البلدين يمتلكان من الحكمة ما يضمن عدم تجاوز الصراع حدوده التقليدية، كأن تستمر مساعي الولايات المتحدة في إشغال الصين بدول محيطها الجغرافي، خصوصاً في بحر الصين الجنوبي وتايوان، وأن تواصل تشويه سمعتها في مجال حقوق الإنسان والحريات الفردية والديمقراطية السياسية، قياساً إلى نموذج «نهاية التاريخ» الذي تبشّر به الولايات المتحدة في خطابها (دع عنك تصرّفاتها الدولية التي لا تشبه ذلك النموذج المشتهى!)، بينما تواصل الصين، في المقابل، إغراء الدول بالرفاهية الاقتصادية التي ستتحقق من خلال مشاريع الاستثمار المشترك معها، ومن ثم قبول الصين لاعباً أساسياً في السياسة الدولية، والتعامل الإيجابي معها على الضد من الدعاية الأميركية. بهذه الطريقة فقط ستتواصل هذه اللعبة على المدى المنظور، ولن ينزلق العالم إلى ما لا تُحمد عقباه.

(كاتب من الأردن)

الابتزاز بالتطبيع... وقاحة توماس فريدمان

ياسر أبو هلالة

قل أن تجد كاتبا صهيونيا يمارس بشكل فجّ دور الواعظ في الحديث عن مناقب دولة الاحتلال وضرورة التطبيع معها. وهو أعمى عن حقوق الفلسطينيين، وجرّده ولاؤه الأيديولوجي للصهيونية من أي قيمة أخلاقية أو ذرّة ضمير، فلا مشكلة له أبدا مع جرائم المستبدين، ولا المحتلين. كل شيء يحلّ، ويغفر جميع الذنوب، عند التطبيع مع شعب الله المختار. هذا الكاتب هو الذي روّج مبادرة السلام العربية الإسرائيلية، ولا شك أن ملك السعودية الراحل، عبد الله بن عبد العزيز، استخدمه لترويجها، وأوهمه كأنها من إلهامه. تقوم على مبدأ بسيط، وهو التطبيع مقابل السلام. وهي تماما عكس ما يروّج الآن عن اتفاقات أبراهام التي تقوم على مبدأ التطبيع مقابل التطبيع. بعيدا عن الوعظ الصهيوني، فكلفة التطبيع بين السعوديين أقل من كلفته مع عدو الأمة. ليس وقت المزاودة على السعودية، فلا يوجد بلد عربي غير تونس حقق تحولا ديمقراطيا، لكن الإصلاح السياسي التدريجي هو الذي يحصّن الجبهة الداخلية في مواجهة ضغوط الإدارة الديمقراطية في واشنطن، ومواجهة طموحات إيران التوسعية، وفوق ذلك يستجيب لطموحات ملايين الشباب السعودي وأشواقهم.

يقول فريدمان: «تحتاج الإمارات والبحرين والمغرب والمملكة العربية السعودية إلى فهم أن لديهم نفوذاً أكبر الآن، للتأثير على العلاقات الإسرائيلية الفلسطينية، أكثر مما يدركون. إسرائيل لا تريد أن تفقدهم. تخيل لو وافقت المملكة العربية السعودية على الانضمام إلى اتفاقات أبراهام، ولكن شرط أن تفتح سفارة السعودية لدى إسرائيل في القدس الغربية الإسرائيلية، بينما تفتح، في الوقت نفسه، سفارة للفلسطينيين في حي عربي في القدس الشرقية». ويقفز مباشرة إلى مبادرة السلام العربية، وكأنها جزء من اتفاقات أبراهام: «إن مجرّد خطوة واحدة من شأنها أن تساعد في الحفاظ على إمكانية التوصل إلى اتفاق قائم على دولتين، وستنشط مبادرة السلام السعودية لعام 2002، وستزيد من عزلة محور الفشل الإيراني. وستجد إسرائيل صعوبة بالغة في الرفض. إنني أحترم القلق الذي يشعر به بعضهم من أن صنع المملكة للسلام مع إسرائيل يمكن أن يكون وسيلة لإعادة تأهيل محمد بن سلمان. لكنني لا أعتقد أن هذا سبب لمعارضته. في الشرق الأوسط، غالبًا ما يحدث التغيير الكبير عندما يفعل اللاعبون الكبار الأشياء الصحيحة لأسباب خاطئة».

بعيدا عن وعظ توماس فريدمان الممل، ومحاولات ابتزاز السعودية بالتطبيع، كتب السيناتور الديمقراطي كريس مورفي، في «فورين أفيريز»، وهو من صانعي السياسة لدى فريق بايدن، عن انسحاب أميركا من المنطقة، داعيا دول الخليج إلى التأسي بالنموذج الكويتي، محذّرا من أن تفوق النمو السكاني على عائدات النفط واستمرار القمع سيؤدي إلى اندلاع «عاصفة من الاضطرابات الكارثية». ولا شك في أن التطبيع مع إسرائيل في غيها وعدوانها سيضاعف حجم العاصفة ويسرّع بها. في النهاية، توماس فريدمان منسجمٌ مع نفسه، ومخلص للصهيونية، ويسعى إلى مصالحها بعيدا عن مصلحة أي بلد عربي. الطريف أنه في اليوم الذي نشر فيه مقال فريدمان، المبشر بالتطبيع، ذكّرني «فيسبوك» بمرور ثلاث سنوات على مقال جمال خاشقجي، رحمه الله: «ما الذي يمكن أن يتعلمه ولي العهد السعودي من الملكة إليزابيث الثانية»، وفيه «إذا ما تمكن محمد بن سلمان من الاستماع إلى منتقديه، والاعتراف بأنهم هم أيضا يحبون بلادهم، فسيكون بإمكانه بالفعل تمكين سلطانه». أن يستمع محمد بن سلمان لجمال خاشقجي اليوم سيكون الدية التي ترضيه في قبره، تماما كما ترضي ملايين الشباب السعودي الذين عبّر عن أشواقهم.

أبعد من استقالة وزيرٍ مغربي

محمد أحمد بنّيس

أثارت استقالة وزير الدولة المغربي المكلف بحقوق الإنسان والعلاقات مع البرلمان، مصطفى الرميد، من مهامه الوزارية، استفهاماتٍ كثيرة بشأن توقيتها، وصلتها بما يحدث داخل حزب العدالة والتنمية الذي يقود الحكومة منذ عشر سنوات. ولعل ما يزيد هذه الاستقالة التباسا تزامنها، من جهة، مع استقالةٍ أخرى تقدّم بها إدريس الأزمي من رئاسة المجلس الوطني للحزب، ومن أمانته العامة. ومن جهة أخرى، مع ما صرّح به أخيرا رئيس الحكومة السابق، عبد الإله بنكيران، حين اعتبر أن «الربيع العربي لم ينته»، وأن «الحكّام المتسلطين سوف يأتي يوم يبحثون فيه عن أرض تؤويهم ولا يجدونها، ويبحثون عن ظلٍّ ولا يجدونه».

وعلى الرغم من أن الرميد قد تراجع عن قراره، إلا أن الواقعة أثارت جدلا واسعا داخل الرأي العام المغربي، خصوصا بعد تسريب وثيقة الاستقالة عبر مواقع التواصل الاجتماعي، إذ بدا الأمر وكأنه تخطٍّ للمقتضيات الدستورية التي تؤطّر علاقة الوزراء برئيسيْ الدولة والحكومة. هذا إضافة إلى استقالاتٍ سابقة كان قد تقدّم بها الرميد، من مواقع مختلفة شغلها، قبل أن يتراجع عنها أيضا. ما يثير تساؤلات بشأن توقيت هذه الاستقالة ومغزاها، على الرغم من استنادها إلى «دواع صحية»، كما جاء في وثيقتها المُسرّبة. وتتسع دائرة التساؤلات في ضوء ما خلّفه توقيعُ الأمين العام للحزب ورئيس الحكومة، سعد الدين العثماني، على اتفاق التطبيع مع إسرائيل من ارتجاجٍ تنظيميٍّ غير مسبوق داخل الحزب.

لا تكشف واقعة الاستقالة، فقط، حجم التصدُّع داخل «العدالة والتنمية»، بل يكشف، كذلك، عجزه عن تدبير المرحلة الحالية، بما فيها من ضغوط تستنزفه، وتدفع به نحو حالةٍ من الإجهاد التنظيمي قد تكلفه غاليا، على بعد أشهر قليلة من الاستحقاقات الانتخابية التشريعية والبلدية. ومن هنا، يغدو طلب الاستقالة من حكومةٍ، تعيش النزع الأخير من ولايتها الثانية، بمثابة محاولة للعب في الوقت الضائع، وهروب إلى الأمام، في ظل عجز الحزب عن إعادة صياغة منظومته الفكرية والنظرية، بعد أن وجد نفسه في ورطةٍ أخلاقية وسياسية، بحجم التطبيع مع الكيان الصهيوني. وحين يقول بنكيران إن الربيع العربي لم ينته، فهو يعي جيدا ما يقول، ويدرك أن الدولة العميقة، وإنْ كانت قد أعادت جدولة أولوياتها بعد انحسار مد الربيع العربي، إلا أنها تراقب ما يحدث في محيطها الإقليمي، ولا ترغب في عودة الاحتجاج إلى الشارع كما حدث في 2011، مثلما لا ترغب في رؤية الحزب يقود ولايةً حكوميةً ثالثة. وبالتالي، ينطوي ما صرح به على أكثر من رسالة، سواء باتجاه هذه الدولة أو المجتمع، سيما بعد تآكل الرصيد الشعبي للحزب، وتقلص قاعدته الانتخابية، بسبب إخفاقه في مكافحة الفساد، وفي تحسين الوضع المعيشي والاجتماعي للمغاربة.

تدرك قيادات «العدالة والتنمية» أن مياها كثيرة جرت تحت جسوره، إبّان العقد الذي قضاه على رأس الحكومة. فقد نجح الجناح البراغماتي (السياسي) في فرض استراتيجيته القاضية بالاندماج السلس في منظومة النخب المغربية، وطمأنةِ المواقع المحافظة داخل مؤسسات الدولة، والالتزام بقواعد اللعبة السياسية كما تضعها السلطة. هذا في الوقت الذي تراجع فيه تأثير التيار الدعوي على مواقف الحزب. وكان ملف التطبيع مع إسرائيل اختبارا حاسما في هذا الصدد، إذ نقل الصراع بين الجناحين إلى طورٍ يهدّد بتفجير الحزب من الداخل، في ظل تنامي مشاعر التذمر داخل حركة التوحيد والإصلاح التي تعتبر التطبيع خروجا سافرا عن مقتضيات المرجعية الإسلامية التي يتوسّل بها الحزب.

تخلط استقالةُ الرميد الأوراق داخل «العدالة والتنمية»، وتدفع الوضع التنظيمي إلى مزيد من التأزم. ولا يبدو أنه يملك من الموارد ما يساعده على تخطّي تبعات ذلك، بعد أن تكلّست تنظيماته الموازية، وانفضّ عنه طيفٌ واسعٌ من قواعده وأنصاره والمتعاطفين معه. وهو ما سيجعله يصل إلى الاستحقاقات الانتخابية المقبلة منهكا وعاجزا عن مجاراة خصومه الذين يتوزّعون على أكثر من موقع.

المغرب والجزائر إلى أين؟

كمال عبد اللطيف

صادفت تداعيات المناوشات العسكرية التي قامت بها جبهة بوليساريو، على المعبر الحدودي بين المغرب والجزائر وموريتانيا، مرور الذكرى الثانية والثلاثين لتأسيس اتحاد المغرب العربي (17 فبراير/ شباط 1989). وقد ترتَّب عن ذلك تعطيل الطريق التجاري المتجه من المغرب صوب السنغال وموريتانيا. واجه الجيش المغربي الحركة التي أقدمت عليها بوليساريو، وعمل على وقفها، فاستعاد الطريق حركته، بعدما حصل خرقٌ واضح لاتفاق وقف العمليات العسكرية، الحاصل بين الأطراف المتنازعة منذ سنة 1991 بإشراف الأمم المتحدة، لكن الحدث المذكور الحاصل قبل أسابيع من ذكرى التأسيس، أعادنا إلى سؤال تفعيل الاتحاد ومؤسساته.

لم تستطع دول المغرب العربي، طوال العقود الثلاثة المنصرمة، التغلب على العوائق والصعوبات التي أوقفت مسلسل بناء المغرب العربي الكبير. وإذا كان من المؤكّد أن مشكل الصحراء يُعَدُّ من المشكلات التي تقف حجر عثرة أمام كل توجّه يروم الدفع بآليات عمل الاتحاد، فإنه لا ينبغي أن يتحوَّل إلى فعل محاصرة دائمة للآمال الكبيرة لشعوب المغرب العربي، في موضوع بناء آليات اندماجها الاقتصادي والسياسي والثقافي، بما يعزّز حضورها في زمنٍ لم يعد يلتفت إلى الكيانات الصغيرة. وتزداد أهمية هذه المسألة، عندما نعرف حرص مؤسسات عديدة من المجتمع المدني في أغلب الأقطار المغاربية على تمتين روابط التواصل والاندماج.

يمتلك الاتحاد مقوِّمات الوجود والمبادرة والفعل، وهو مؤهّل ليكون قاطرةً إقليمية للتعاوُن والتنمية بمؤهلات بشرية وجغرافية ورصيد تاريخي مشترك. إنه البوابة الشمالية لأفريقيا الصاعدة، وهو يوفر للبلدان المغاربية قواعد صلبة لبناء علاقاتٍ متكافئةٍ مع الاتحاد الأوروبي، بحكم انفتاح شواطئه وموانئه على طول البحر الأبيض المتوسط، من طنجة إلى بنغازي (أزيد من خمسة آلاف كلم)، ومن دون إغفال الإشارة إلى علاقته ببعض الدول الأوروبية شمال المتوسط خلال حقب التاريخ، وارتباطه القويّ ببعضها الآخر في الفترة الاستعمارية، زمن المد الإمبريالي في القرن التاسع عشر.

نتصوَّر أنه لو تمكَّن الاتحاد من اختراق حالة التصلّب التي لحقته، لَشَكَّل امتداداً فاعلاً في جسم المشرق العربي، بمختلف مكوِّناته الأخرى المُمتدَّة شرقه، والممتدَّة أيضاً، في الجزيرة العربية والخليج، فنصبح، في النهاية، أمام جناحين بطول الجغرافيا العربية، وبكل القدرات والموارد التي يحملها كل منهما، بابين كبيرين ينفتحان على ثلاث قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا، وينفتحان عبر بوابة المحيط الأطلسي على الأميركتين، ومن دون إغفال أرصدة تجارب التاريخ الكبرى، بكل ما حملته وتحمله مِن إرث حضاري متنوع ومتعدّد، إرثٍ امتلك صورا من التفاعل المنتج في كثير من مفاصل التاريخ، وكثيراً من المدّ والجزر مع مختلف الشروط العامة التي ارتبطت بوجوده وتحولاته.

تحضر ذكرى تأسيس اتحاد المغرب العربي في السنوات العشر الأخيرة بدون جديد، أغلقت أبواب الاتحاد ونوافذه، ظلّ حضوره المؤسسي بدون أثر يُذكر. ويتم اليوم نسيان الآفاق والآمال التي عُقِدَت على بنود ميثاقه، المكتوب بلغةٍ قريبةٍ من طموحات التاريخ المشروعة لمجتمعاتٍ تشدّها كثير من أواصر التاريخ وحتميات الجغرافية، حتى عندما يعاند الحكام أو ينخرطون في حسابات التنافس الخاطئ الذي لا يلتفت إلى مقتضيات التاريخ وشروطه، أو لا يتم الانتباه فيه إلى أن المواقف التي اختار حُكَّامُه في عقود سابقة لا تُعَدُّ مطلقةً أو نهائية، كما لم يحصل الانتباه، في بعض دوله، إلى أن مواقع زمن الحرب الباردة وخياراتها لم تَعُد مُجْدِية في سياق الحاضر وتناقضاته الجديدة، وهي سياقاتٌ مختلفةٌ عن سبعينيات القرن الماضي.

تواجه بلدان المغرب الكبير اليوم جملة من الشروط المرتبطة بتداعيات الربيع العربي ومخلّفاته، حيث أوضاع الشعب الليبي على حالها. وتونس، على الرغم من كل ما تحقّق فيها من تَمَرُّس نخبها ببعض آليات العمل الديمقراطي، لم تتمكّن من مغالبة مقتضيات الزمن الانتقالي. وفي الجزائر، يستمرّ الحراك الاجتماعي، متطلّعاً إلى بناء دولةٍ مدنية، في مجتمع ضاق بدولةٍ لا تريد الاستماع إلى حراكه السلمي وتطلعاته الرامية إلى وقف مسلسل الفساد وتوسيع مجالات الحرية والتشارك. أما في مخيمات تندوف، فإن وضعية الساكنة تزداد سوءاً، وذلك بعد تراجع الدعم الدولي وتوقّف تبادل الزيارات بين الصحراويين وأهاليهم في الجنوب المغربي، المبادرة التي كان يُفترض أن تساهم في بلورة ما يُسعف بتطوير المقترح المغربي، الهادف إلى منح أقاليم الصحراء حكماً ذاتياً داخل السيادة المغربية. أدَّت المناوشات التي عرفها الممر الحدودي المتجه نحو أفريقيا إلى عودة لغة الحرب الإعلامية إلى ملف الصراع المغربي الجزائري، وقد ازدادت الأمور تعقيداً في الأشهر الأخيرة بتوقيع المغرب معاهدة تطبيع علاقاته مع إسرائيل، حيث امتلأت سماء الاتحاد مجدّداً بكثير من الغيوم. أما المقايضة المعلنة التي حصلت بين التطبيع والصحراء المغربية، فقد أدخلت الاتحاد في دروب أخرى، زادت أفقه ومستقبله تعقيداً.. ولعلَّ الذين يتابعون التداعيات الجارية اليوم، في سياقاتٍ مختلفةٍ ومتنوعة داخل أغلب بلدانه، يلاحظون تزايد انتشار العديد من الخطابات الملغومة بحسابات غريبة عن لغة العقل والتاريخ. وفي هذا الموقف علاماتٌ كثيرة تُغْفِل هشاشة الأوضاع المغاربية، وهي تدعو العقلاء في بلدان المغرب الكبير إلى وقف خطابات الحرب ومناوشاتها.

(أكاديمي مغربي)

> علاماتٌ كثيرة تُغْفِل هشاشة الأوضاع المغاربية، وتدعو العقلاء في بلدان المغرب الكبير إلى وقف خطابات الحرب ومناوشاتها

رقصة الشيخ مورو

حلمي الأسمر

1

رقصة الشيخ مرصودة، كما كل أفعاله، فالأضواء مسلّطة عليه من كل حدب وصوب. وثمّة من يتصيد له الأخطاء، ويضخّمها ويتوسع في تأويلها، ومنصّات التواصل مليئة بصور الشيوخ وهم في لحظات «إنسانية»، إن جاز التعبير، عادية عند الناس، لكنها عند الشيوخ مختلفة، ومجلبةٌ للتعليق والنشر والتأويل، وهذا طبيعيٌّ إلى حد ما، فما بالك إن كان الشيخ خلافيا ومن «المشاهير» ممن يثيرون الجدل، حيث تصبح كل خطواتهم مرصودة تحت الأضواء.

بداية، أوضح القيادي الإسلامي التونسي الشهير، الشيخ عبد الفتاح مورو، في تصريح متلفز، بشأن الصورة التي نشرتها الفنانة مريم بن مولاهم، وهو «يراقصها» كما أشيع، حيث قال إنه لم يرقص، بل إن ما حدث أنه لبّى دعوة أبيها لحفل الزفاف، مع زوجته، وقرأوا الفاتحة فيه. وحين همّ بالخروج، دعاه والدها لتهنئة العروس والسلام عليها، فلبّى الدعوة، وتوجه إلى العروس، وسلّم عليها، فاصطادت كاميرات المصوّرين تلك اللقطة، وبدا أنه يراقصها. والحقيقة أنه لم يفعل كما يقول، ولم يكن أمامه من بد إلا أن يقدّم التهنئة للعروس. ويشرح وجهة نظره هنا رادّا على من هاجمه، قائلا إنه يتواصل مع جميع الشرائح في بلده، وكل ما فعله أنه زار بيتا، وليس مرقصا أو «كباريه»، بل بيت محترم فيه رجل، وهو ديدنه في التواصل مع أبناء شعبه. والزيارة لا تعني أنه يقرّ أو يؤيد ما تلبسه العروس أو ما يحدث في حفل الزفاف، بل هو يتفاعل مع كل طبقات المجتمع في بلده، ويشاركهم أفراحهم وأتراحهم.

2

عبد الفتاح مورو، أحد أعلام العمل الإسلامي في عصرنا هذا، وهو النائب السابق لرئيس حركة النهضة ونائب رئيس البرلمان التونسي السابق، وهو أحد قادة حركة النهضة التاريخيين. حظيتُ في وقت مضى بجلسة حوارية نادرة معه، في عمّان، كانت من أمتع الجلسات التي يمكن أن تقضيها مع أي رمز من رموز العمل الإسلامي، فهو نمط جديد من أنماط رجال الدعوة الحركيين. ليس له كثيرون ممن يشبهونه في جرأته وقدرته على رؤية واقعنا بعيونٍ جديدةٍ كل الجدّة. لهذا هو شخصية مثيرةٌ للجدل. على مدار ساعتين، تحدث الرجل في كل القضايا التي تشغل بال الأمة. وأذكر أنه في سياق الحوار، أثيرت حادثة اغتيال السياسي التونسي اليساري، شكري بلعيد، واتهام الإسلاميين بها. وكم كان مثيرا للانطباع، حين نقل لنا الشيخ طرفا من ملامح آخر لقاء له معه في التلفزة التونسية، حيث تمنّى بلعيد على الشيخ أن ينضمّ إلى حركة اليسار، فيما تمنّى الشيخ عليه أن يضمّه إلى الاتجاه الإسلامي. وهيئ لهما، في نهاية الحوار، أن البثّ انتهى على الهواء، وصادف بث بعض الموسيقى، فأخذ كلاهما يرقصان على أنغامها. وظهرا كلاهما، اليميني واليساري وهما يرقصان، وهو موقفٌ شكل مصدر طرافةٍ وفخر للشيخ، وهو يروي هذه الواقعة ردا على من اتهم التيار الإسلامي باغتيال بلعيد. وهو أيضا موقفٌ يشي بواحدةٍ من أهم مكونات شخصية الشيخ وطروحاته المنفتحة على الواقع، من دون تعصب أو انغلاق.

3

مما قاله مورو، في جلستنا تلك، وقرأته في حواراته الصحافية أيضا: «الإسلام هو الحل شعار فارغ». و«الإسلاميون ليسوا خياراً دائماً». «لم تدرك الحركات الإسلامية أن المطلوب حالياً نظرة جديدة تأخذ بالاعتبار الواقع الراهن». «لا يوجد في أدبياتنا، كحركة إسلامية، مبحث خاص بالحكم في العصر الحديث من منظور إسلامي». «لم يكن أحد من أصحاب القرار في العالم يرغب في أن يكون الإسلاميون البديل عن الديكتاتوريات التي أطاحت بها الشعوب» «أخطأ الإسلاميون عندما تصوروا أنهم البديل». «الحراك عندي، الآن، حراك وطني، يجب ألا يعادي الكيان الإسلامي العام». وهنا بيت القصيد، فتلبية دعوة زفاف أو خطوبة لفنانة أو فنان جزء من فلسفة الشيخ في التعامل مع أبناء شعبه. ورقصة الشيخ مع بلعيد، أو سلامه على الفنانة، ليسا إلا ترجمة لفلسفته في الانفتاح على جميع الأطياف في بلده. ولعل هذا سر شعبية الرجل وحب ناس كثيرين له، ليس في بلده فقط، بل في سائر البلاد العربية.

4

قال يوما المفكر الكويتي، عبد الله النفيسي، إنه قال للرئيس التركي طيب أردوغان في لقاء معه، إبّان انتخابه زعيما جديداً لبلاده،: أنا ممن يمرّون في شوارع إسطنبول، ويرون هذه المناظر المخالفة لدين هذه الأمة وتاريخها، فماذا أنت فاعل في هذا؟ فبرّد أردوغان بكل ارتياح: لا شيء، هذه مهمة سهلة ومتأخرة. أول ما سأقوم به هو إنعاش اقتصاد البلاد وإيجاد فرص عمل، وإنشاء المصانع، وإنهاء المديونية التي تضع رقبة البلد تحت سكين عدوها، وتحسين البنية التحتية، وإيجاد مدارس وجامعات تليق بهذا الشعب وهذه الأمة وهذه الأجيال القادمة، وسأبني المستشفيات التي تعالج المريض وتجعل الإنسان قوياً عاملاً مخلصاً، وسأبني الطرق وسأشق الأنفاق في كل البلاد، وسنصنع سلاحنا وطعامنا ونؤمن أرضنا وبحرنا وسماءنا. وبعد ذلك نعيد تركيا إلى منظومة العالم الإسلامي. أما ما تقوله، يا دكتور عبد الله، فهذه المظاهر كانت موجودة أيام الرسالة النبوية المحمدية الأولى في مكة المكرمة، ولم يبدأ بها الرسول صلى الله عليه وسلم، ولم يبدأ بها ليؤلب المجتمع عليه. بدأ في تثبيت العقيدة، وتكوين فئة من الشعب والمجتمع، يستعين بهم ويمدونه بمعونتهم ويشاركونه في تثبيت العقيدة الجديدة التي ستكون لبنة الدولة الأولى في النفوس والعقول وتثبيتها وسط تلك البيئات غير المنتمية لها أصلاً. عندما تكون الدولة قوية في الاقتصاد والزراعة والصناعة والتعليم والجيش، ورأى الشعب هذا، وأصبح المواطن لا يخاف على رزقه وحياته وأمنه وحريته وحرية عائلته، عندها فقط سيستجيب لما نطلبه منه بكل رضا ومحبة. وعندما تتغير مناهج التعليم والتدريس ويتغير الجيل بجيل حر كريم متعلم متفهم يملك إرادته، عندها ستجد هذه المناظر تختفي وتذهب، وتذوب كما يذوب الثلج، لتظهر طهارة هذا الشعب ونظافة هذه الأمة، كيف ستطلب من الشعب أن يتغير ويستمع لما تقول وهو جائع وفقير ومريض ومستعبد في وظيفته ورزق عياله؟

.. أحسب أن الشيخ عبد الفتاح مورو خير من يطبق هذه الرؤية التي تندرج تحت باب فقه الأولويات، فبدلا من الانشغال فيما يغرف فيه المجتمع من مظاهر، فرضتها الأزمنة الحديثة، ينشغل الشيخ بإعادة بناء مفاهيم وصناعة فكر تنويري، والانصراف إلى ما هو أهم من الانشغال بتهنئته مريم، أو الرقص مع بلعيد.

(كاتب من الأردن)

> ينشغل الشيخ بإعادة بناء مفاهيم وصناعة فكر تنويري، والانصراف إلى ما هو أهم من الانشغال بتهنئته مريم

عن شبح حرب أهلية تتجدّد في الصومال

الشافعي أبتدون

«معظم النار من مستصغر الشرر». كأن هذه المقولة تنطبق تماماً على المشهد الصومالي، بعد تلكؤ الحكومة في تنظيم انتخابات برلمانية ورئاسية في موعدها (8 فبراير/ شباط الحالي)، والتي تأجلت إلى موعد غير مسمّى، حيث تنتهي المدة الدستورية للرئيس محمد عبد الله فرماجو في هذا الموعد، بينما انقضت مدة المجالس التشريعية في 27 من ديسمبر/ كانون الأول الماضي. ولا حركة عمل دؤوبة لإجراء الانتخابات، على عكس ما كانت تشهده الصومال، وخصوصاً في الانتخابات السابقة. كذلك فشلت الرئاسة الحالية في إقناع المعارضة، لا سيما المرشحين ورؤساء الولايات الفيدرالية (بونتلاند وغوبالاند) في التوصل إلى اتفاق يحُدّ من التوترات السياسية التي ترجمت أخيراً إلى مواجهات عنيفة في الـ19 من الشهر الماضي (يناير/ كانون الثاني)، عندما فرّقت القوات الصومالية حركة احتجاجية في مقديشو بالرصاص الحي، الأمر الذي فسرته المعارضة قمعاً للحريات التي يكفلها الدستور، ووصفت الرئيس بـ«الدكتاتور».

تتمثل التحديات التي تواجه العملية الانتخابية في غياب توافق سياسي، وعدم سريان اتفاق 17 سبتمبر/ أيلول الماضي الذي طعنه الرئيس الصومالي في خطابه في البرلمان، ونعته بأنه أعدَّه رئيس بونتلاند، ما أثار استغراب المتابعين بشأن المشهد الانتخابي، إلى جانب تعقيدات أخرى، جعلت التوافق السياسي حالياً غير ممكن، وخصوصاً أزمة مقاعد إقليم جدو المتنازع عليها بين رئيس غوبالاند والرئيس فرماجو، حيث يرغب كل طرف في تعيين مؤيدين له لنواب الإقليم، فضلاً عن اتهامات متبادلة بين القيادات الصومالية، بشأن الجهة التي أفشلت الاتفاق، وهو ما جعل البلاد في وضع سياسي خانق، فضلاً عن مخاوف من عودة الاضطرابات الأمنية التي ألِفها الصومال منذ عقود. بات جدار الثقة بين الشركاء السياسيين مهتزاً ومهترئاً، بسبب توجهات الرئاسة الصومالية، بعد مواجهة المتظاهرين بالرصاص الحي، حيث عبرت أطراف رئيسة في حسم هذا الخلاف بعدم الثقة بالرئيس فرماجو، وعبروا عن فقدانهم الأمل في عقد اجتماعات أخرى، بسبب عدم التزامه بالاتفاقيات، ما يعقد جهود الوصول إلى اتفاق جديد، وخصوصاً بعد رفض كل من رئيس بونتلاند وغوبالاند حضور مؤتمر جديد دعا فرماجو إلى انعقاده في مقديشو. كما أن قنوات التواصل والتوسط بين الحكومة والمعارضة غير موجودة اليوم، فالقيادات العشائرية منقسمة حالياً بين مؤيدين لهذه وأخرى في صف تلك، وهو الانقسام العشائري والسياسي الذي يدفع الصومال نحو قلاقل سياسية، إذا لم تتدخل أطرافٌ دولية للجم الخلافات السياسية.

ويتجه الوضع الصومالي إلى دائرة الخطر، نتيجة الاحتقان ولغة التخويف والتهديد والتخوين التي تتبادلها الأطراف الصومالية الفاعلة عبر الإعلام المحلي. استمرار التوترات السياسية، وكذلك دعوات المعارضة إلى التظاهر مجدّداً، قد يساهمان في حدوث شرخ اجتماعي وسياسي جديدين، وربما يؤديان إلى انقسامات داخل الترويكا الحاكمة، نتيجة التعاطي مع المسائل والظروف الطارئة بشكل خاطئ. ولكن ما يخشاه المراقبون أن تطاول الانقسامات المؤسسة العسكرية الهشة أصلاً، وتضم مليشيات مسلحة عشائرية، نتيجة تذمر عسكريين من هذا الوضع الخطير، وخصوصاً الذين ينتمون إلى القبائل القاطنة في الجنوب، وهو ما يفتح الباب لسيناريو التفكك والانهيار مجدّداً.

المخرج الوحيد الذي ينتظره الصوماليون حالياً هو التدخل الدولي والإقليمي لنزع فتيل الأزمة الراهنة، لأن الصومال لم يستوِ على ساقيه بعد، وما زال مدعوماً من المجتمع الدولي، حيث يمثل وجود 22 ألف جندي أفريقي صمام أمان واستقرار البلاد أمنياً وسياسياً، وذلك بإجبار الرئاسة على بدء الانتخابات البرلمانية والرئاسية والالتزام بالاتفاقيات والقوانين، وهذا هو السيناريو المتوقع حالياً، خصوصاً إذا فشل الرئيس فرماجو في إقناع المعارضة في التهدئة، ورؤساء الولايات الفيدرالية في دخول مفاوضات جديدة، بدل أن ينتظر من بعثة الأمم المتحدة خيار إرغام رئيسي بونتلاند وغوبالاند على المشاركة في مؤتمر تشاوري، تحتضنه مقديشو في الأيام المقبلة، لكن الرئيسين اشترطا للمشاركة في حوار جديد مع الرئيس الصومالي عقد المؤتمر في منطقةٍ تضمن أمنها البعثة الدولية والأفريقية في مقديشو.

أخيراً، تقع المسؤولية الرئيسة في حفظ استقرار البلاد على عاتق الحكومة، وخصوصاً الرئيس محمد فرماجو، فإذا لم يواجه حالة الاحتقان بهدوء وحكمة، فإن الوضع سيكون كارثياً، وهو ما يفرض تغييراً في قواعد اللعبة السياسية الصومالية بتدخل دولي وإقليمي، لإنقاذ منجزات الأمم المتحدة والاتحادين، الأوروبي والأفريقي، وبعدها سيتأكد المجتمع الدولي أن العقل السياسي الصومالي ما زال مشوهاً جينياً، ويحمل بذرات العقم السياسية، بقدر ما هو مستعد لقبول الإملاءات الخارجية وتطبيق بنودها بحذافيرها شكلاً ومضموناً.

(كاتب وإعلامي صومالي)

> بات جدار الثقة بين الشركاء السياسيين مهتزاً، بسبب توجهات الرئاسة الصومالية، بعد مواجهة المتظاهرين بالرصاص

العربي الجديد
www.alaraby.co.uk
تصدر عن شركة فضاءات ميديا ليميتد (Fadaat Media Ltd)

نائب رئيس التحرير **حسام كنفاني** ■ مدير التحرير **ارنست خوري**
■ المدير الفني **إميل منعم** ■ السياسة **جمانة فرحات** ■ الاقتصاد **مصطفى عبد السلام** ■ الثقافة **نجوان درويش** ■ منوعات **ليال حداد** ■ الرأي **معن البياري** ■ المجتمع **يوسف حاج علي** ■ الرياضة **نبيل التليلي** ■ تحقيقات **محمد عزام** ■ مراسلون **نزار قنديل**

المكاتب
■ المكتب الرئيسي، **لندن**
Unit5, Central Park, Central Way, London, NW 10 7FY
Tel: 00442071480366
■ مكتب **الدوحة**
الدوحة ـ الدفنة ـ برج الفردان ـ الطابق العاشر ـ
هاتف: 0097440190600
■ مكتب **بيروت**
بيروت ـ الجميزة ـ شارع باستور ـ بناية west end 33
هاتف: 009611567794 - 009611442047
■ البريد الإلكتروني: Email: info@alaraby.co.uk
■ للاشتراكات: alaraby.co.uk/subscriptions
هاتف: 97440190635+ جوال: 97450059977+
■ للإعلانات: alaraby.co.uk/ads